﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨﴾ [الأنعام: 48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ما قَـدَرُوا الله حـقَّ قـدرِهِ، فنبَّههم بجزاءِ مَنْ آمنَ بالرُّسلِ وأصلحَ

لمّا تحدَّثتِ الآياتُ السّابقةُ عنِ اعتراض المشركين على نُبوَّته ﷺ وطلبوا منه الآياتِ المعجزاتِ لكي يؤمنوا به ﷺ جاءت هذه الآيةُ ردًّا على مُقترحاتِهم، وبيانًا لوظيفة الرُّسل، وأنَّ الله أرسلَهم لتبليغ دعوتِه، مبشِّرين من آمن، ومُنذرين من عصى، وليس للإتيان بالآياتِ التي يقترحونَها.

وممّا يُذكرُ - أيضًا - في المناسبةِ أنَّه لمّا ذكرَ محاججةَ من كذَّبَ الرُّسلَ، وأعرض عمّا أرسلَهم به ربُّهم منَ الآيات التي ما منها إلا ما آمن على مثلِه البشرُ، وطلبَه منهم ما لا يقدرُ عليه إلا مُرسلُهم مِنَ الإتيان بغير ما أتَوْا به مِنَ الآيات؛ بيَّن لهم حقيقةَ الرِّسالة إشارةً إلى ظُلْمِهم في طلبِهم منَ الرُّسلِ ما لا يُطلبُ إلا منَ الإله[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: (بَشَرَ) أصلٌ يدلُّ على ظهورِ الشَّيءِ مع حسنٍ وجمالٍ[2]، والبِشارةُ عبارةٌ عن خبرٍ سارٍّ يتغيَّرُ له البشرُ[3]؛ لأنَّها تُظهرُ طلاقةَ الإنسان وفرحَهُ في البَشرة، وهي ظاهرُ جلدِ الإنسان[4]، والبشيرُ والمُبشِّر: الذي يُبشِّرُ القومَ بأمرٍ خيرٍ أو شَرٍّ[5]، ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ يُبشِّرون بالثَّواب على الطّاعة،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/120، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/537.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (بشر).
(4) ابن الأثير، النهاية: (بشر)، والسّمين، الدر المصون: 1/209.
(5) الخليل، العين: (بشر)، والأزهري، تهذيب اللّغة: (بشر).

واتِّباعِ الرِّسالة وتصديقِ الرُّسل[1]، يُبشِّرون بالجنَّة وبإنعامِنا ورحمتِنا لمن آمن وأطاعَ[2].

2) ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: (نَذَرَ) كلمةٌ تدلُّ على تخويفٍ[3]، ومنه الإنذارُ الذي يعني الإبلاغَ، ولا يكونُ إلّا في التَّخويف[4]، فهو "إخبارٌ فيه تخويفٌ، كما أنَّ التَّبشيرَ إخبارٌ فيه سرورٌ"[5]، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يُنذرون من كذَّبَ وأبَى الإيمانَ بالعقابِ على المعصيةِ[6]، يُخبرون النّاسَ، ويُخوّفونَهم بالنّار، إذا كفروا وعصَوْا[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مـهـمَّـةُ الـرُّسـلِ البِشارةُ والإنذارُ

يُخبرُ اللّه تعالى أنَّه لا يرسلُ المُرسَلين إلا ببشارةِ أهلِ الطّاعةِ بالفوزِ بالجنَّةِ جزاءً على طاعتِهم، وبإنذارِ من أصرَّ على الشِّركِ بالنّار، فمن آمنَ، وصدَّقَ، وعملَ صالحًا؛ فلا خوفٌ عليهم من عذاب الدُّنيا الذي ينزل بالمُكذِّبين الجاحدين، ولا من عذاب الآخرةِ الذي أعدَّه للكافرين، ولا هم يحزنون يومَ لقاء اللّه على شيءٍ فاتَهم؛ لأنَّ اللّه يحفظُهم من كلِّ فزَعٍ[8].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوصلِ في الآية:

الاستـدراكُ على الـظَّـالـمـين بـأنَّ إرسـالَ الـرُّسـلِ مِـنَّـةٌ وإنـذارٌ من ربِّ العالمين

عُطفتْ جملةُ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾ على قولِه تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾؛ لِما بينَهما من مناسبةٍ؛ إذ إنَّهم كانوا يتعلَّلون لصدوفِهم وإعراضِهم بأنَّهم يَرومون آياتٍ على وفْقِ مُقترحِهم، وأنَّهم لا يَقنعون بآياتِ الوحدانيةِ،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 9/407، والواحدي، البسيط: 7/197.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/137، 293.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(4) الجوهري، الصحاح: (نذر).
(5) الراغب، المفردات: (نذر).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 9/408، والواحدي، البسيط: 7/197.
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/138، 293.
(8) المراغي، تفسير المراغي: 7/127 - 128.

ألا تَرى إلى قولِهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ [العنكبوت: 50]، وتفسيرُ هذه الآية في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ [الإسراء: 90] إلى آخرِ ما ذكره اللّه عنهم هناك في هذه السّورة؛ فأنبأهم اللّه بأنَّ إرسالَ الرُّسل للتَّبليغ والتَّبشير، لا للتَّلهّي بهم باقتراح الآيات[1].

تحتملُ الجملةُ الاستئنافَ لبيانِ الغرَضِ مِن إرسالِ الرُّسلِ

يجوز في الآية أنْ تكونَ كلامًا مستأنَفًا؛ لبيان الغرضِ من إرسالِ الرُّسلِ - ﷺ - أي: مُبشرّين لمن أطاعَهم بحُسنِ الجزاءِ، ومُنذرين لمن عصاهم بسوءِ المُنقلب[2]، ولإظهارِ أنَّ ما يقترحه الكفرةُ مِنَ المعجزاتِ ليس ممّا يتعلَّقُ بالرِّسالةِ أصلًا[3].

دَلالةُ القصْرِ في الآية:

حَصْرُ الهدفِ مِنَ الرِّسالةِ بالتَّبشيرِ والإنذارِ، ونفيُ غيرِهما ممَّا يتصوَّرُ الظالمون

الآية فيها قصْرُ قَلْبٍ[4]، لنفيِ ما يظنُّه النّاس في شأن الرُّسلِ ووظيفتِهم - ﷺ - أي: ليس من وظيفةِ الرُّسل أن يأتوا النّاسَ بما يقترحونه عليهم منَ الآيات، وإنَّما قصدُهم التَّبشيرُ والإنذارُ[5]، "والقصرُ إضافيٌّ للرَّدِّ على من زعموا أنَّه إن لم يأتِهم بآية كما اقترحوا؛ فليس برسولٍ من عندِ اللّه، فهو قصرُ قَلْبٍ، أي: لم نُرسلِ الرَّسولَ للإعجاب بإظهار خوارقِ العاداتِ"[6].

إيثارُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿نُرۡسِلُ﴾:

مِنَ العاداتِ الإلهيَّةِ تجدُّدُ إرسالِ الرُّسلِ رحمةً بالعبادِ

عبَّرَ عن إرسالِ الرُّسل في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾ بالفعلِ المضارعِ، دونَ (أرسلنا)؛ "لبيانِ أنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/238.
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 2/134.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/135.
(4) قصرُ القلب: عكس الحكم الذي اشتمل على القصرِ؛ لأنّ الغرض منه قلبُ ما عند المخاطَبِ، فإذا اعتقد المخاطَبُ عكسَ الحكم الذي تُثبته نحو: ما سافر إلا عليّ، ردًّا على منِ اعتقدَ أنّ المسافرَ خليلٌ لا عليٌّ، فقد قلبتَ وعكستَ عليه اعتقادَه. يُنظر: القزويني، الإيضاح: 3/15، وعصام، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: 1/540، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 173.
(5) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/250، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/293.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/238.

ذلك أمرٌ مستمرٌّ جرتْ عليه العادةُ الإلهيةُ"[1]، ومع استمرارِها فإنَّ المرادَ الاستمرارُ على الحالَين المذكورَين كذلك، وهما التَّبشيرُ والإنذارُ، أي: "تجدُّدُ الإرسالِ مُقارنًا لهذين الحالَين"[2].

علَّةُ وصفِ الرُّسلِ بالبِشارةِ والإنذارِ:

مهمَّةُ الرُّسلِ الإبلاغُ من غيرِ إرغامٍ، أو تحمُّلِ وزرٍ

نصَّتِ الآيةُ على الوصْفَين: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ إظهارًا لِعلَّة الإرسال، وهي البلاغُ، فليس عليهم أن يحملوا النّاسَ على الهدايةِ إن لم يهتدوا، ولا يتحمَّلوا وِزرَ العُصاة إن عصَوْا[3].

معنى التَّبشيرِ والإنذارِ في الآية:

الترغيبُ والترهيبُ منهجُ الأنبياءِ في الدَّعوةِ

المرادُ بهما: التَّرغيبُ والتَّرهيبُ، مُبشِّرين بسَعةِ الرِّزقِ في الدُّنيا والثَّوابِ في الآخرةِ، يدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]، ومعنى ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: مخوِّفون عقابَ الله[4].

وتعبيرُ القرآنِ عن وظيفةِ الرُّسلِ يُشيرُ إلى أنَّ النّاسَ في قَبولِ الدَّعوةِ يَنقسمون إلى فريقين، فريقٌ يؤمنُ بها؛ فتُبشرُّه الرُّسلُ بالجزاءِ الحَسَنِ في الدُّنيا والآخرة كما سبق ذكرُه، والفريقُ الثّاني: الذين يَعترضون على الأنبياء ودعواتِهم، يحذِّرونَهم ويخوِّفونَهم من سوءِ العاقبة في الدُّنيا والآخرةِ.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالمرسَلين على مقامِ الفضلِ تحمُّلًا وتبليغًا:

اختارَ التَّعبيرَ بالمُرسلين، وهو اسمُ مفعولٍ للدَّلالةِ على أنَّ أمْرَ الرِّسالةِ محضُ فضلٍ منَ الله، وليس باكتسابِ البَشر، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ دورَهم حملُ الأمانة وتبليغُها.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/135.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/238.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2506.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/429.

القصدُ إلى البِشارةِ قبل النِّذارة دعوةً لتوقيتها شرعة:

قُدِّمتِ البِشارةُ للإعلامِ بأنَّ الرُّسلَ - عليهم الصّلاةُ والسّلامُ - يَحرصون على إيمانِ من يدعونَهم، ويقدِّمون لهم الأدلَّةَ، وما أعدَّه اللّه لهم منَ الثَّوابِ، ويُبشِّرونهم بالنَّعيم المُقيمِ، وفي هذا تعليمٌ للدُّعاة أن يبدؤوا بالبِشارة قبل النِّذارةِ.

دَلالةُ الجمعِ بين البِشارةِ والنِّذارةِ في قولِه: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾:

جمعَ بينهما كنايةً عن وظيفةِ الرُّسلِ وهي التَّبليغُ، ويلزمُ منه التَّبشيرُ لمن آمن والتَّحذيرُ لمن عصَى.

دَلالةُ الفاءِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾:

الفاءُ للتَّفريعِ وترتيبِ ما بعدَها على ما قبْلَها[1]، فما قبْلَ الفاءِ التَّفريعيَّةِ يُسبِّبُ ما بعدَها، فالإيمانُ والكفرُ يترتَّبان على الرِّسالةِ ويتفرَّعان عنها.

الإيمانُ وحدَه ليس كافيًا بل لا بدَّ منَ العملِ الصّالحِ

دَلالةُ الجمعِ بين ﴿ءَامَنَ﴾ و﴿وَأَصْلَحَ﴾:

جمعَ القرآنُ بينَهما للإشارة إلى أنَّ الإيمانَ وحدَه لا يكفي، بل لا بدَّ منَ العملِ الصّالحِ؛ فالإيمانُ من غيرِ عملٍ يكونُ أجوفَ لا يُنتجُ آثاراً صالحةً، ولذلك تجدُ القرآنَ الكريمَ يحرصُ دائمًا على الجمع بين الإيمانِ والعملِ الصّالحِ في كثيرٍ من آياته.

دَلالةُ اختيارِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ دونَ (وعمل صالحًا):

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ للإشارةِ إلى أنَّ المشركين أفسدوا فطرتَهم باتّخاذِهم شركاءَ من دونِ اللّه، وبعدمِ توظيفِهم الآياتِ التي أنزلَها اللّه على رُسلِه في إصلاحِ نفوسِهم؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالفعل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ هو المناسبُ للمَقام؛ لأنَّ التَّخليةَ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/135، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/238.

دَلالةُ تقديمِ الخوفِ على الحُزن:

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قدَّمَ الخوفَ على الحُزن في النَّفيِ مراعاةً للمَقام[1]؛ إذْ يومُ الحساب مُخوِّفٌ أكثرَ منَ الحزن على فوات الثَّواب.

إيثارُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسمية:

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: "الجملةُ الاسميةُ تدلُّ بمعونةِ المقامِ على استمرار الثُّبوت، فإذا دخل عليها حرفُ النَّفيِ؛ دلَّت على استمرار الانتفاءِ لا على انتفاءِ الاستمرارِ"[2].

دَلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ المَنفيِّ:

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: "المضارعُ الخالي عن حرف النَّفيِ يفيدُ استمرارَ الثُّبوتِ، فإذا دخل عليه حرفُ النَّفيِ؛ يفيدُ استمرارَ الانتفاء"[3]، وليس المرادُ نفيَ الدَّوام، بمعنى: أنَّهم يَحزنون ولكنَّ حزنَهم لا يدومُ، فهذا المعنى ليس صحيحًا؛ لأنَّ نفيَ المضارع يدلُّ على استمرار الحدثِ المَنفيِّ، فهم لم يحزنوا، ولن يحزنوا، وذلك للمبالغة في شأن جزاءِ المؤمنين فهم لا يتطرَّق إليهم خوفٌ ولا حزنٌ على وجه الثُّبوت والاستمرار.

سرُّ التَّعبيرِ عنِ الخوفِ بالاسم، والحزنِ بالفعل:

في قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جاء التّعبيرُ بالاسم في حقّ الخوف، وبالفعل في حقّ الحزن؛ لأنَّ الخوفَ يتعلَّقُ بالمستقبل، والحزنَ بالماضي؛ فالإنسان يخافُ من مستقبلِه، ويحزنُ على ما فاتَه في الماضي، ومعلومٌ أنَّ الإنسانَ يتعلَّقُ بالمستقبل، وخوفُه وتألُّمُه منه أشدُّ من تألُّمِه على الماضي؛ لأنَّ طبيعةَ الإنسان تتناسى الماضي؛ إذا بعُدَ زمنُه، بخلاف المستقبل؛ فيشتدُّ الخوفُ منه متى قربَ أمرُه، وتأكَّدَ ثبوتُه في النَّفس[4].

دَلالةُ تقديمِ الخوفِ على الحُزنِ في الآية:

قدَّمَ الخوفَ على الحُزنِ في الآية تماشيًا مع طبيعةِ النَّفس الإنسانيةِ في حرصِها على المنافعِ والمصالحِ الدُّنيوية المُستقبَلَةِ، وأيضًا تماشيًا مع طبيعتِها في نسيان الماضي.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/135.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/136.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/136.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/312.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالإفرادِ في ﴿ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ﴾ والجمعِ في ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾:

جمعَ الضَّمائرَ مُراعاةً لمعنى (مَن)، وأفردَ في الفعلَيْن مراعاةً للفظِها.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإرسال والبعث:

حـكـمـةُ الـلـه وراســخُ علـمِه مَبْنَى اصطفاءِ الله للرُّسل

عبَّرَ بالفعل ﴿نُرۡسِلُ﴾ دون (نبعثُ)؛ لوجود فرقٍ بينهما؛ لأنَّ الإرسالَ يحملُ معنى الانبعاث على تؤدةٍ، وهذا فيه إشارةٌ إلى أنَّ اصطفاءَ اللّه رُسلَه مبنيٌّ على حكمتِه وعلْمِه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: 124]، وفيه ردٌّ على قولِ المُشركين لمّا قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ۝٣١﴾ [الزخرف: 31]؛ ولأنَّه يدلُّ على الرِّفق، فتقولُ: على رِسْلِكَ، إذا أمرتَه بالرِّفق، وفي هذا إشارةٌ إلى رِفق الرُّسل بالمُرسَل إليهم.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»